المجاز إلى معرفة المجاز لأبي إسحاق التادلي الرباطي

تحقيق: خالد زهري

أولا: تقديم:

خدمة لتراثنا المغربي الأصيل، نقوم بنشر رسالة لطيفة المعنى حبيكة المبنى موسومة ب: «المجاز إلى معرفة المجاز»لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد التادلي. وهي في تلخيص الفنون الضابطة لعلم البيان والأصول الحاكمة لفروعه الكثيرة وهي: «الحقيقة والتشبيه، والكناية، والتعريض، والمجاز، والاستعارة». وقد حوت هذه الرسالة الوجيزة فرائض وفوائد ما تفرق وانتشر في المصنفات البسيطة، وأفادت بالإشارة بما يغني عن طول العبارة، وذلك على جهة الدقة والضبط لاالفضول والبسط، فكانت على حد قول الأقدمين: «سراج للقارئ المبتدئ، وتذكارا للمقرئ المنتهي». فهي ذات ترتيب محكم مهذب جعلها صاحبها عقدا نضيدا وسلكا فريدا، إذ عرض فيها التادلي زبدة مصنفات علم البيان لبعض أساطين البلاغة وأهل التمكين من اللغة كالإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت.٥٣٨هـ)، والإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي(ت.٦٢٦هـ)، وقاضي القضاة أبي المعالي جلال الدين الخطيب القزويني(ت.٧٣٩هـ).

وقبل عرض النص المحقق، يكون لزاما علينا رسم مطلبين، أحدهما يترجم للتادلي، والآخر يصف المخطوطة.

المطلب الأول: ترجمة التادلي: من التراجم التي ترجمت له: الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، والانبساط بتلخيص الاغتباط كلاهما لمحمد بوجندار، والمستدرك على معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله، والأعلام للزركلي، والمضادر العربية لتاريخ المغرب(الفترة المعاصرة) لمحمد المنوني، وصفوة ما قيل فيه مايلي:

هو ابراهيم بن محمد بن عبد القادر الحسن التادلي الرباطي، المكنى بأبي إسحاق، من كبار علماء عصره ومن أهل التصوف الجامعين بين العلم والعمل. ولد بالرباط سنة١٢٤٢هـ(١٨٢٧م)، ودرس بها وبفاس ومكناس، واستفاد من بعض المعارف الحديثة من أوربا وهو قافل إلى المغرب من المشرق عبر إسبانيا، وتولى مهمة التدريس بمدينة الرباط بما يزيد عن ربع قرن إلى أن توفي بها سنة ١٣١١هـ(١٨٩٤م).

ترك عدة مصنفات أغلبها رسائل ومختصرات وحواشي وشروح، منها: حساب الفرائض والتركات، تحفة الأحباب بأعمال الحساب، قواعد علم اللغة، شرح إيساغوجي في المنطق، أغاني السيقا ومعاني الموسيقى(أو الارتقاء إلى علوم الموسيقى)، المجاز إلى معرفة المجاز..إلخ. ويفيدنا الزركلي أن الذي يغلب على الظن أن كتبه كلها مازالت مخطوطة.

المطلب الثاني: وصف المخطوط: توجد نسخة منه بالخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط، وهي النسخة الوحيدة التي اعتمدت عليها. ويقع في ورقتين ضمن مجموع يحمل رقم(١٣٤٨) من ورقة١٥٤/أ إلى ورقة ١٥٥/ب، مسطرته: ٢١، ومقياسة: ١٧٠-٢٢٠، ومكتوب بخط مغربي وسط، وعناوينه باللون الأحمر.

ثانيا: -تحقيق النص-

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

هذا التقييد المبارك لأبي إسحاق سيدي(١) إبراهيم التادلي الرباطي دارا ومنشأ رحمه الله:

الحمد لله خالق الحقيقة والمجاز، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بدلائل الإعجاز، وعلى آله ذوي النفوس الزكية، وأصحابه أولي العقول الزكية، أما بعد:

فإن أقسام المجاز قد ذكرت في الكتب مفصلة، فأردت ذكرها في هذه الرسالة مجملة، فنظمت فرائد قواعدها في ثلاثة عقود، وسميتها: «المجاز إلى معرفة المجاز».

العقد الأول: في أقسام المجاز: وفيه ثلاث فرائد ومقدمة وخاتمة.

- المقدمة: الحقيقة قسمان: عقلية؛ وهي إسناد الشيء إلى ماهو له، فلا تكون إلا في مركب، نحو: «أنبت الله البقل» ولفظية؛ وهي قسمان: مفردة وهي الكلمة المستعملة فيما وضعت له، نحو: «رأيت أسدا» ومركبة وهي المركب المستعمل فيما وضع له، نحو: «قام زيد».

والمجاز قسمان: عقلي؛ وهو إسناد الشيء إلى غير ماهو له لعلاقة بينهما، مع قرينه مانعة من إرادته، فلا يكون إلا في المركب، نحو: «بنى الأمير المدينة»، و«أنبت الربيعُ البقل». ولفظي؛ وهو قسمان: مفرد ومركب. فالمفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لقرينة(٢) ما نعة من إرادته، وهو قسمان: مرسل واستعارة، لأنه إن كانت علاقته المشابهة فاستعارة، وإلا فمرسل.

فالاستعارة مجاز علاقته المشابهة، وهي قسمان: تصريحية، نحو: «رأيت أسدا يرمي». ومكنية، نحو: «رأيت رجلا يفترس».

والمرسل مجاز علاقته غير المشابهة، نحو: «أكلنا المائدة(٣)».

والمركب هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة وقرينة مانعة من إرادته، وهو قسمان: مرسل واستعارة تمثيلية. فالتمثيلية مجاز مركب علاقته المشابهة نحو: «إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى»، والمرسل مجاز مركب علاقته غير المشابهة نحو: «رحمه الله».

والتشبيه تشريك أمر لأمر في معنىً بالكاف ونحوها، وأركانه أربعة: المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، وأداه التشبيه، نحو: «زيد كالأسد في الشجاعة»و«زيد أسد».

والكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إر ر ادته معه.

- الفريدة الأولى: قرينة المجاز ثلاثة أقسام: لفظية نحو: «رأيت أسدا يرمي»، وحالية نحو: «رأيت أسدا»، وعقلية نحو: «يارحمان».

- الفريدة الثانية: لايُعدَل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لنكتة كالمبالغة.

- الفريدة الثالثة في الساتعارة والمرسل: أما الاستعارة فأركانها أربعة: المستعار له، والمستعار منه، ولفظ المستعار منه، والجامع وهو ما قصد اشتراك الطرفين فيه. واتفق القوم على أن الاستعارة التصريحية لفظ المشبه به المستعار المذكور، نحو: «رأيت أسدا يرمي»، ولا تكون إلا تحقيقية. والمجاز المرسل علاقته غير المشابهة وأقسامه كثيرة، كالوجه في الذات.

- الخاتمة: يعرف المعنى المجازي بالدليل كالنقل أو العقل.

العقد الثاني: في تحقيق المكنية: وفيه ثلاث فرايد ومقدمة وخاتمة.

- المقدمة: اتفق القوم على أنه إذا شبه أمر بآخر(٥)من غير تصريح بشيء من أركان التشبيه سوى المسبه، ودل عليه بما يخص المشبه به، كان في الكلام مكنية وتخييلية. لكن اختلفوا في تعين المعنى الذي يطلق على التخييلية على ثلاثة مذاهب، فبينتها في هذا العقد. كما اختلفوا في تعيين المعنى الذي يطلق عليه التخييلية على ثلاثة مذاهب أيضا فبينتها في العقد الثالث.

- الفريدة الأولى: يؤخذ من كلام السلف أن المكنية لفظ المشبه به المستعار المحذوف المدلول على فحوى يذكر لازمه من غير تقديره في الكلام، و....، مناسبة ترجمته استعارة مكنية أو مكنيا عنها أو استعارة بالكناية ظاهرة، وإليه ذهب الزمخشري(٧)وهو المختار.

- الفريدة الثانية: قد يؤخذ من كلام السكاكي أنها لفظ المشبه المستعار المذكور(٨)، ورد لفظ المشبه لم يستعمل إلا في معناه الحقيقي، فلايكون استعارة.

- الفريدة الثالثة: ذهب الخطيب إلى أنها التشبيه المضمر في النفس الذي لم يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه(٩)، ورُدّ بأنه لا وجه لتسميته استعارة.

- الخاتمة: المشبه في المكنية لايجوز ذكره بلفظ المشبه به، وإلا كان تصريحية، ويجوز ذكره بلفظه الموضوع له وبغيره، كما إذا شبه

شيء بأمرين واستعمل لفظ أحدهما فيه وأثبت له لازم الآخر، فتجتمع التصريحية والمكنية والتخييلية، نحو: «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف»(١٠)، شبه ما يغشى الإنسان من أثر الضرر عند جوعه وخوفه بلباس في الاشتمال فاستعير له اسمه، وبطعم من يشبع(١١) في الكراهة، فيكون مكنية، والإذاقة تخييلية.

العقد الثالث: في تحقيق معنى التخييلية وفيه ثلاث فرائد، ومقدمة وخاتمة:

- المقدمة: اتفق القوم على أن في نحو: «أظفار المنية»مكنية وتخييلية كما مر، لكن اختلفوا في تعيين معنى التخييلية على ثلاثة مذاهب، فنبينها في ثلاث فرائد:

- الفريدة الأولى: ذهب السلف إلى أن التخييلية إثبات لازم المشبه به للمشبه، فيكون مجازا عقليا دائما، والمكنية والتخييلية متلازمان، وإليه ذهب الخطيب(١٢)، وهو المختار.

- الفريدة الثالثة: ذهب السكاكي إلى أنها لفظ لازم المشبه به المثبت للمشبه مستعارا لأمر محقق أو مخيَّل مشبه بمعناه الحقيقي، فيكون مجازا لفظيا دائما(١٣)، ورُدَّ بأنه تَكلُّف(١٤).

- الفريدة الثالثة: جوز الزمخشري كونها استعارة لملائم المشبه تصريحية، وهي لفظ لازم المشبه به المثبت للمشبه كما في قوله تعالى: «ينقضون عهد الله»(١٥)، استعير لفظ الحبل لعهد الله والنقض لإبطاله، وكونها مجازا عقليا، وأشار السيد(١٦) أن تكون مجازا لفظيا إن كان للمشبه لازم يناسب لازم المشبه به كما في: «ينقضون عهد الله»، وإلا كانت مجازا عقليا كـ: «أظفار المنية».

- الخاتمة: وفيها مسائل:

الأولى: الاستعارة قسمان: أصلية وتبعية، لأنها إن كانت إسما جامدا كـ: «أسد» فأصلية، وإلا فتبعية لجريانها في اللفظ المذكور بعد جريانها تقْدِيراً في المصدر إن كان المستعار مشتقا، وفي متعلق معنى الحرف ما يعبر به عنه من المعنى المطلق كالابتداء، وأنكر السكاكي التبعية والمجاز العقلي وردهما إلى المكنية(١٧).

الثانية: الاستعارة ثلاثة أقسام: مرشحة ومجردة ومطلقة، لأنها إما أن تقترن بما يلازم المستعار منه نحو: «رأيت أسدا له لِبَد» فمرشحة، أو المستعار له نحو: «أسد شاهر(١٨)السلاح» فمجردة، أولا فمطلقة نحو: «رأيت أسداً يرْمِي».

الثالثة: الترشيح يكون للحقيقة، كالتشبيه بذكر ما يلائم المشبه به، وللمجاز العقلي بذكر ما يلائم ما تقوله زائداً على قرينته، وللمجاز اللفظي بذكر ما يلائم المعنى الحقيقي زائدا على قرينته أيضاً، سواء كان مرسلا نحو: «الأمير يدُه طويلةٌ»، أو استعارة تصريحية نحو: «رأيت أسدا له لبد»، أو مكنية نحو: «نطق لسان الحال بكذا» ويجوز جعله ترشيحا لقرينتها على المذاهب فيها. والفرق بين قرينة المكنية وترشيحها، وبين قرينة التصريحية وتجريدها،، قوة التعلق بأيهما أقوى تعلقا فهو القرينة، وما سواه ترشيح أو تجريد.

الرابعة: الترشيح حقيقة، ويجوز أن لايكون حقيقة.

الخامسة: التعريض لفظ مستعمل في معناه ليلوح بغيره، والإشارة دلالة اللفظ على ما لم يقصد به.

السادسة: أطبق البلغاء أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه، وأن الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، والتمثيلية أبلغ من غيرها، والمكنية أبلغ من التصريحية، والمرشحة أبلغ من المطلقة، والمجردة والمطلقة أبلغ من المجردة.

السابعة: الاستعارة قسمان: عامية وخاصية، فالعامية ما يظهر فيها الجامع للعوام، نحو: «رأيت أسدا يرمي»، والخاصية ما لايظهر فيها الجامع إلا للخواص نحو:

وإذا اختبى قَرَبُوسه بعنانه
عِلْك الشكيم إلى انصراف الزائر(١٩).

الثامنة(٢٠): الاستعارة ستة أقسام، لأن الطرفين إن كانا حسيين فالجامع إما حسي نحو: «فأخرج لهم عجلا»(٢١)، وإما عقلي نحو: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار»(٢٢)، وإما مختلف نحو: «رأيت شمسا يضحك»، وإلافهما إما عقليان نحو: «من بعثنا من مرقدنا»(٢٣)، وإما مختلفان. والحسي هو المستعار منه نحو: «فاصدع بما تؤمر»(٢٤)، أو عكسه نحو: «إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية»(٢٥).

- تمت الرسالة الموجزة ذات الفرائد المنجزة -

لهوامش:

١- في الأصل: سيد

٢- على هامش المخطوط تعليقة شارحة لهذه الكلمة، وهي: «لعلامة».

٣- كلمة(المائدة) نصفها مطموس في الأصل، ولايظهر منها إلا: (الما....).

٤- مطموسة في الأصل.

٥- في الأصل: بآخرين.

٦- كلمة غير واضحة في الأصل.

٧- انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢٦٨/١، وذلك عند تفسيره الآية٢٧من سورة البقرة: «ينقضون عهد الله»(دار الفكر ودار الرشاد الحديثة، بيروت، ط.١، س.١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).

٨- انظر مفتاح العلوم: ١٦٠-١٦١(دار الكتب العلمية، بيروت).

٩- انظر الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٤٤/٢(دار الكتاب اللبناني)، بيروت، ط.٤، س.١٣٩٥هـ١٩٧٥م

١٠- النحل: ١٢١

١١- في الأصل: يشبع.

١٢ انظر الإيضاح في علوم البلاغة:٢/٤٤٤-٤٤٦.

١٣- انظر مفتاح العلوم:١٥٩.

١٤- على هامش المخطوط كلمتان بإزاء هذه الكلمة وهما: «كذا تعلق».

١٥- البقرة: ٢٧.

١٦- لعله يقصد السيد الإمام يحيى بن حمزة العلوي(٦٦٩-٧٤٩هـ) صاحب كتاب«الطراز المتضمن لأسرار وعلوم حقائق الإعجاز».

١٧- انظر مفتاح العلوم: ١٦٣و١٦٩.

١٨- الهاء من كلمة(شاهر)غير واضحة في الأصل.

١٩- القَرَبُوس(بفتحتين): السرج، ولايخفف إلا في الشعر، والعنان: سير اللجام الذي تمسك به الفرس، والعلك: الذي يمضغ، والشكيم والشكيمة في اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس، وقائل البيت هو يزيد بن مسلمة عبد الملك في وصف فرسه بالأدب.

٢٠ - في الأصل: الثانية.

٢١- طه: ٨٨

٢٢- يس: ٣٧

٢٣- يس: ٥٢

٢٤- الحجر: ٩٤

٢٥- الحاقة: ١١.

تم التحقيق في عتمة يوم الإثنين ١١ رمضان ١٤٢٠هـ موافق ٢٠ دجنبر ١٩٩٩م.

مع العارفين

مع الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني

محمد الهاشمي
خريج دار الحديث الحسنية

- هو الشيخ العارف والأمام الزاهد سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن يحي الزاهد ابن محمد بن داود بن موسى الجون ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثفن ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد سنة ٤٧٠هـ وقيل ٤٧١م الموافق لـ١٠٧٧مأو١٠٧٨م في قرية جيلان-وتوفي رحمه الله في رمضان سنة٥٦١هـ الموافق لـ١١٦٧م وقد جاوز التسعين.

جمع رضي الله عنه وأرضاه بين الدراسة العلمية والتربية الروحية وكان له فيهما قصب السبق وكرسى حياته للتربية والتدريس وتصدر مجالس العلم والفتوى والوعظ فكان عالما عاملا وعارفا مربيا فجمع الله القلوب عن حبه وألهج الألسنة بالثناء عليه وانتهت إليه رئاسة العلم والتربية والإصلاح والإرشاد والدعوة إلى الله في العراق فقصده الناس من كل الآفاق وانتشرت دعوته في مختلف الأصقاع ورزقهه لله الوجاهة والقبول فتاب على يديه الألوف من العصاة والمذنبين وأسلم الكثير من النصارى واليهود.

مع كلماته المنيرة

- فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام أود لو كانت الدنيا بيدي فأطعمها الجياع...

- رأس المعاصي الحرام وملاك الدين الحلال والتورع وتصفية اللقمة فكل ما ينشأ من خير فمن اللقمة فالحلال يورث الخير والحرام يورث الشر.

- أكل الحرام يميت قلبك وأكل الحلال يحييه... لقمة تشغلك بالدنيا ولقمة تشغلك بالآخرة ولقمة تزهدك فيها ولقمة ترغبك في خالقها.

- الطعام المباح يشغلك بالأخرى ويحبب إليك الطاعات والطعام الحلال يقرب قلبك من المولى.

- اعبدوا الله عز وجل واستعينوا على عبادته بكسب الحلال إن الله عز وجل يحب عبدا مؤمنا مطيعا آكلا من حلاله يحب من يأكل ويعمل ويبغض من يأكل ولايعمل يحب من يأكل بكسبه ويبغض من يأكل بنفاقه وتوكله على الخلق.

- لايكن همك ما تأكل وما تشرب وما تلبس وما تنكح وما تسكن وما تجمع كل هذا هم النفس والطمع فأين هم القلب والسر وهو طلب الحق عز وجل.

- إذا دام القلب على ذكر الحق عز وجل جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض كما سموه جملة.

- دوام الذكر سبب لدوام الخير في الدنيا والآخرة.

- إذا صح الذكر دائما فيه فينام عيناه وقلبه ذاكر لربه عز وجل.

- أنت بعد قليل ميت كل ما أنت فيه زائل متفرق هذا يفارق ولده وداره وزوجته ويرافق التراب والقبر والزبانية أو ملائكة الرحمة.

- إذا أردت الفلاح فاحجب شيخا عالما بحكم الله عز وجل وعلمه يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عز وجل..

المريد لابد له من قائد ودليل لأنه في برية فيها عقارب وحساب، وآفاق وعطش، وسباع مهلكة.:

فيحذره من هذه الآفات ويدله على موضع الماء والأشجار المثمرة..فإذا كان وحده من غير دليل وقع في أرض وعرة كثيرة السباع والعقارب والحيات والأفاعي.